مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٨) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٨) 2023

فاعليّة الإبهام في المعنى
أسلوب الشرط بإن أنموجاً

د. حسن شحود*

سوزان عبدالله**

(تاريخ الإيداع ٨/٢٢ /٢٠٢٣. قُبِل للنشر في ١١/٩ /٢٠٢٣)

□ ملخّص □

يدرس هذا البحث أثر الإبهام في المعنى ، ضمن أسلوب من أساليب النحو ذات المعاني العامّة، وهو أسلوب الشرط ، تحديداً بأداته ألحرفيّة (إن) ،المتواضع عليها كحرفٍ أصليّ، يقوم عليه معنى الشرط .

فيقدّم بدايةً معنى الإبهام ، أسبابه وأنواعه، مُعقِباً ذلك بمعنى الشرط ، مُبيّناً نوع الإبهام في هذا الأسلوب، كما يدرس أسلوب الشرط بأداته الأصليّة (إن) شارحاً خصائصها ومميّزاتها، مبرزاً من خلال أمثلة تطبيقيّة أثر الإبهام في المعنى وفاعليته فيه كمحرّك أساسيّ لإطلاق المعنى في رحاب علم النحو قبل أي تفسيرٍ له ؛لأنّ أسلوب الشرط قبل كلّ شيء هو بنية نحويّة تتكوّن من معانٍ نحويّة، تحتويها كليّات إسناديّة ،تعوّدنا أن نراها مستقلّة ولكنّها في الأسلوب الشرطي لااستقلال لها بنفسها ،فجملة الشرط أبداً مفتقرة إلى جزائها ؛ليتمّ معنى الشرط ، كما ويوضِّح مهتدياً بالمعنى مدى تأثير الإبهام فيه وعلاقة (إن) الشرطيّة بإظهار ذلك ،ويُعنى ببيان أسلوب الشرط كأحد الأساليب لتي تحفِّز العقل على تحليل الظاهرة اللغوية ،لبيان منطق الكلام وبلوغ الإفهام ،بحيث نُسلِّم بسلطة اللغة، تماماً كما نسلِّم بقدرة العقل فيها ،وذلك كلّه يُقدّمه النحو على أكمل وجه .

الكلمات المفتاحية : الإبهام ، الأسلوب ، الفاعليّة ، المعنى ، الشرط .

*أستاذ–قسم اللغة العربية–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة طرطوس.

**ط.ماجستير –قسم اللغة العربية–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة طرطوس.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٨) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٨) 2023

The Efficacy OF Obscurity in meaning The conditional style method is model

D.Hasan SHahoud*
Sozaan Abd Al-leh**

(Received ٢٢/٨ /٢٠٢٣. Accepted ٩/١١/٢٠٢٣)

□ ABSTRACT□

This research studies Obscurity effect in.

meaning within one of the grammar methods with general meanings,it is a conditional methods, specifically with his literal tool, agreed upon as original letter,the meaning of the condition is based on it. .

He first introduces the meaning of the Obscurity ,its cause's and types this is followed by the meaning of the condition, explaning the type of Obscurity in this method,it also studies the subjunctives style with his original instrument , explaining its characteristics and advantages, explained through applied examples the efficacy of obscurity in meaning and its effectiveness in it ,as an essential factor in releasing meaning in the field of grammar science befor any further explanation another because the conditional style comes first it is agrammatical structure, consisting of grammaticalness meaning it contains predicte universals we are used to seeing her as independent but it is in the conditional style she has no independence on her own the conditional sentence always lacks its penalty to complete the meaning of the condition and he extrapolates guided in the meaning the extent of the effects of the Obscurity on it and the relationship to its conditional original letter by showing it he is interested in explaining the conditional method as one of the methods wich stimulates the mind to analyze the phenomenon linguistics ,to explain the logic of speech and reaching understanding so that we acknowledge the authority of ,language just as we acknowledge the power of the mind in wich all of this is presented by grammar in the most complete manner .

Keywords: obscurity, style , Efficacy, meaning, condition

(*):Professor in Arabic Department - Faculty of Letters and Human Sciences - Tartous University – Tartous - Syria.
(**): A Scholar Master in Linguistics - Faculty of Letters and Human Sciences Tartous University – Tartous - Syria.

مقدمة :

يعدّ الإبهام من الموضوعات التي أوضحت الصلة الوثيقة بين القاعدة النحويّة والمعنى ، فالإبهام لا يكون إلّا لسببٍ كامنٍ في المعنى ،وتقرير حضوره يكون باعتبار المعنى والنظر فيه لا محالة ، والشرط من المعاني النحوية العامّة، التي بُنيَت على الإبهام ، ولكنّ الإبهام في هذا لا يعني غياب المعنى عن الفكر أو حجبه إذ يتعسّر الإفهام ،وإنّما هو غيابٌ لزمن تحقق هذا المعنى، في ضربٍ من الغيب، وهذا أيضاً ليس على إطلاقه، فبعض الشروط يمكن أن يحدّد زمنها المستقبل إمكانية تحققها في زمنٍ مستقبليّ قادم .

وعلى هذا نجد أنّ الإبهام في أسلوب الشرط لم يُعالج كما يجب ، إذ سنرى أنّ السياق أو المقام له هيمنة لا يستهان بها في إبهام هذا الأسلوب، وعلى درجات متفاوتة، ومن هنا يسعى هذا البحث إلى دراسة أسلوب الشرط في النحو؛ بحثاً عن فائدة إبهامه، وفاعلية الإبهام في المعنى المكتمل نحوياً ومنطقياً ،على نمطٍ عالٍ يشكّل له جوهر أسلوبه .

معنى الإبهام أسبابه وأنواعه:

المبهم لغةً : " ما يصعب على الحاسّة إدراكه إن كان محسوساً وعلى الفهم إن كان معقولاً " ( ) واصطلاحاً: " المبهم : ما افتقر في البيان عن معناه إلى غيره " ( ) ٢

أسبابه : عندما نتحدث عن الإبهام في النحو ،فهذا يعني أننا لم نحصّل أصل المعنى، كماله وتمامه، وأنّ هذا المعنى غير محدد ، ولم يبيّن البيان الذي يبلغ فيه الإفهام وينتفي عنه الإبهام. وقد كانت اللغة منذ أوّل وجودها كريمةً في البيان، ولكنها حافظت على الإبهام بشكل أو بآخر كما لو أنّه أحد أهم دلالاتها وجوداً .

يعود الإبهام لأسبابٍ تعود كلّها إلى ما يعتري دلالة اللفظ، من نقصٍ أو شيوعٍ أو تعدّد أوّلها :العموميّة : وهي نتاج الموجودات ،حين نزع العقل إلى فهم هذا العالم والتعبير عنه لغوياً، فاللغة ترجمان الوجود ،والعمومية أول تحليلات الفكر له، لذا فهي علة الإبهام المميزة ومن هنا " فكلّ ما هو عامّ مبهم " ( ) . ٣

وثاني أسباب الإبهام، ما يسمّى بالافتقار: " والافتقار أمرٌ قارٌّ في المبهمات " ( ) فقد أوجدت العمومية هذا ؛لأنّ القدرة على " استقلال المبهمات بالمعنى أمرٌ تعجز عنه مالم يكن لها ما يعينها على سدّ فقر دلالتها، فلا غنى لها عن غيرها لبيان معناها ،لذا فهي تتطلّب نظاماً يراعى فيه حاجتها ،وتتخصص فيه هذه الحاجة فيما يخلّصها من الإبهام، فيتحدد موضع الإبهام وسببه، بما يعيّن المطلوب الذي يخلّصها من إبهامها ، فيؤتى به لبيان المعنى وهذا سبيل نظم المبهمات كلّها ،نظراً لافتقارها المتأصّل فيها ،كونها مباحة في كلّ ما يمكن أن تطلق عليه وهو كثير مهما جهدنا في تقييده " ( ) . ٥

() . المعجم الوسيط : ابراهيم أنيس وآخرون ، بيروت ، دار الأمواج ، ط٢، ١٩٩٠م ، مادة / بهم /

() . شرح المفصل : موفق الدين بن يعيش ، بيروت ، عالم الكتب ، د. ت ، ١٣٧/٢

() اللغة العربية معناها ومبناها :تمام حسان ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط ٥ ، ٢٠٠٦م ص٩٩

() الإبهام في الدرس النحوي بحث معد لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها : إعداد محمد أحمد الأشولي ، إشراف أ. د مصطفى الفكي ، جامعة أم درمان ، السودان ، ٢٠٠٧م ، ص١٣

() الإبهام والمبهمات في النحو العربي : ابراهيم بركات ، المنصورة ، دار الوفاء ، ١٩٨٧م ،ص٢٧ وينظر : الشكل والدلالة : عبد السلام السيد حامد ، القاهرة ، دار غريب ، د.ت ، ص ١٥٥وشرح المفصل : ابن يعيش ،١١٦/٨

أمّا ثالث أسباب الإبهام :فيعود إلى غنى دلالة اللفظ ،بناءً على استعمال المتكلّمين له لأشياء كثيرة، فإن استعمله لشيء معيّن ، قد لا يكون مفهوماً إن لم يساعد سياق الكلام على تحديده، ومن هنا قال سيبويه :" هذا من كلامهم .....اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين " ( ) بحيث أنّ السامع يكون أمام آحتمالات كثيرة ،لتفسير قصد المتكلم، "فكلّ لفظ مشترك مبهم لدلالته على أكثر من معنى " ( ) . ٧

ورابعها يعود إلى معاني النحو وأحكامه : فكثير من الأبحاث قدّم الإبهام في ظلّ معاني النحو وأحكامه، والمعلوم أنّ النحويين اجتهدوا كثيراً في تحديد معاني النحو بدقة متناهية كما حرصوا أن تكون أحكامه حصناً منيعاً ،يضبط القواعد ،ويطلق اللغة في فلكها ،ولهذا أينما احتار النحاة في وظيفة نحوية أو في معنى نحوي أو شاذٍ ،خرج عن قاعدة ،احتكموا إلى المعنى وكان حجّتهم التي لا تعلوها حجة ولا يرفضها عقل.

ولهذا فإنّ البحث لا يرمي إلى عرض أبواب النحو التي كثر فيها التعليل والتحليل والتفسير ،وتعددت فيها الآراء ،فهذا ليس إبهاماً والدليل على ذلك أنّ النحو هو ذاته من وضع تفسيراً لها، فلا نرى ظاهرة لغوية عصيّة على الفهم ، مادام النحو يحكمها لسببٍ واحدٍ فقط أنّ النحو يكشف إبهامها .

وقد ذكرنا سابقاً أنّ النحو يكشف أي إبهام في المعنى اعتماداً على طريقة العقد والتأليف بين الكلم ، ففي مسألة مرجع الضمير " الأصل عود الضمير إلى المتقدم والضمير من المبهمات التي تحتاج إلى تفسير وبحكم أن المفسِّر جزء من المفسَّر لذا فهو يتصل به فإذا ذكر ضمير واحد بعد اثنين فصاعداً جعل للأقرب ولا يجعل لغيره إلا بدليلٍ خارجٍ " ( ) والمعنى قد يتطلّب عكس ذلك ٨قوله جلّ علاه { فأطَّلِع إلى إله موسى وإنّي لأظنّه كاذباً }" ( ) فالإبهام من حيث مرجع الضميْر هنا يكشفه النحو ، اعتماداً على نظم الكلام ، خدمةً للمعنى ؛لأنّ الضمير يعود إلى المضاف إليه وهذا يخالف مذهب النحاة إذ الأصل عندهم عود الضمير على المضاف لا على المضاف إليه ولكن المعنى تتطلّب ذلك " ( ) . ١٠

وعلى هذا فالإبهام لا يكون في الاستعمال ،مالم يكن الاستعمال مقيّداً بمعنى عامّ له خصوصيته المبهمة وضعاً من حيث نشأة هذا المعنى ، حتى أنّ أكثر أحكام النحو التي ردّها الباحثون إلى الإبهام، وهو الحذف، لا يدخل في الإبهام منه إلّا ما غاب دليله ، فإن " أبقوا دليلاً على ما ألقوا " ( ) فلا إبهام في الكلام . ١١ ١

" فحذف المفعولين من غير دليل في قوله تعالى { فأمّا من أعطى واتّقى } "( ) يخرج الكلام إلى المراد والمقصود وليس القصد أو المعنى المراد في المفعولين وإنّما القصد إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق ٢

() الكتاب : سيبويه ، تح : عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الجيل ، د. ت ، ٢٤/١

() العربية والغموض : حلمي خليل ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ،ط ١، ١٩٨٨م ،ص٧٩

() شرح التسهيل : محمد بن عبد الله ابن مالك ، تح : عبد الرحمان السيد ومحمد بدوي المختون ، القاهرة ، دار هجر للنشر ،ط١٩٩٩،١م ١٥٦/١-١٥٧

() غافر / ٣٧

() حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : ياسين بن زين الدين العلمي الحمصي ، المطبعة المولوية، ١٣٣٧هـ ،١٠٨/١ - ١٠٩

() الأصول في النحو: ابن السراج ، تح : عبد الحسن الفتيل ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، شارع سوريا ، ط١، ١٩٨٥م ، ٤٥/٢

() الليل /٥

" ( ) لنجد أنّ فاعليّة الإبهام ،تساعدّ على تحديد المقصد أو المعنى،[١] ومن هنا قد يكون الإبهام هو بحدّ ذاته دلالة الكلام ، والصنعة النحوية أثبتت ذلك " بخروج كثيرٍ من الأدوات النحوية إلى الإبهام " ( ) .[٤]

أنواع الإبهام : يميّز البحث أنواع الإبهام، تبعاً لقدرة الإبهام على البقاء أو عدم قدرته على البقاء في حيّز الاستعمال ،عندما يتمّ التركيب بين الكلام ،وهذا ميدان النحو، وبهذا نكون أمام ثلاثة أنواع للإبهام وهي :

أ.الإبهام المتمكّن أو المتأصّل : وهو الإبهام الذي لا يزول عن مواضعه، ويكون في الأسماء الموغلة في الإبهام ،وقد حدّدها النحاة ومنها " غير ،سوى ،مثل ،شبه ،نحو ، ضرب ، ترب ، ندّ، خدن ، حسب ، شرع ، كفي ، نهي ، هدّ ،همّ " ( ) كما يكون هذا النوع في مواضٍع محدّدة للنكرة وهي الأسماء الملازمة للتنكير وقد ذكر ابن عقيل مجموعة منها " أحد ، عريب، ديّار ،نمّي ، دعويّ.....الخ "( ) واسم الجنس وذلك " إذا أُريد باسم الجنس عدم التخصيص في الاستعمال نحو : يا رجلاً : أي يا واحداً ممّن له هذا الاسم " ( )[١][٧][١]

ويحضر هذا الإبهام في كل من الكنايات العدديّة " كم ، كأين ، كذا الخبريات وبضع ، نيّف ، رهط ، نفر ،عصبة .." ( )والكنايات غير العدديّة كـ" فلأن ، فلانة ، هَنٌ ، كيت ،ذيت "( ) وكذلك أسماء الاستفهام " من ما، كيف ،أين ، متى ،أيّان ،أنّى " ( ) وما التعجبيّة " ما التعجبيّة غاية في الإبهام " ( )[٩][٢]

ب . الإبهام غير المتمكّن : وهو الإبهام الزائل عن موضعه في الاستعمال ، ويكون في "أسماء الإشارة والموصولات والضمائر"( ) وكذلك اسم الزمان المبهم" وهو[٢] كل ما دلّ على زمن غير مقدّر [٢]وهذا معنى الزمان المبهم اسم المكان المبهم وهو مالا حدّ له تحصره "( ) والنكرات تحديداً " النكرة القابلة للتعريف بإدخال أل المعرفة عليها أو إضافتها إلى معرفة أو قصدها بالنداء"( ) .[٢][٤][٢]

ج. النوع الثالث من الإبهام: فهو الذي يتعرّض لما ليس بمبهم من الكلم، وهو بهذا يختلف عن النوعين السابقين عليه ؛لأنّ الإبهام فيهما وضعاً ،وقد يزول في الاستعمال وقد لا يزول ، أمّا هذا النوع فيبيّن أنّ كل مالا استقلال له بمعناه في النظم فهو عرضة لحضور الإبهام.

وبهذا يظهر الإبهام تباعاً في النظم، كلّما لمحنا في لفظة ما افتقاراً إلى غيرها لإتمام معناها، رغم أنّ هذه الكلمة ليست مبهمة وضعاً ،ولها معناها المعجمي الخاص بها ،ولكن نتيجة ارتباطها مع غيرها بمعنى نحوي ما،

---

[٣] دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، تح : محمود شاكر ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، د ت ، ص١٥٤-١٥٧

[٤] شرح كافية ابن الحاجب : رضي الدين الأستراباذي ، تح : إميل يعقوب ،بيروت ، دار الكتب العلميه، ط١، ١٩٨٩م ،٤٢٠/٤

[٥] شرح التصريح على التوضيح : خالد عبد الله الأزهري ، بيروت ، دار الفكر ، د. ت ، ٩٠/٢

[٦] المخصص: ابن سيده ، تح : لجنة إحياء التراث العربي ،بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د. ت ،٢٤٨/٤-٢٤٩

[٧] الكتاب : سيبويه ،٥/٢

[٨] شرح قطر الندى وبل الصدى : ابن هشام الأنصاري ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، المكتبة العصرية ،١٩٩٨م ص٢٦١

[٩] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين السيوطي ،تح : أحمد شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب ، ط ١، ١٩٩٨م ،٢٤٢/١

[١٠] اللمع في العربية : عثمان بن جني ،تح: حامد المؤمن، بيروت ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط٢ ١٩٨٥م ، ص٢٩٥

[١١] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين ابن عقيل ، تح : تركي المصطفى ، بيروت ، دار الكتب ،ط١، ١٩٩٨م، ٩١/٢

[١٢]المقتضب : المبرد ،تح : عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب، بيروت ، د ت

[١٣] الكتاب : سيبويه ،٣٥/١-٣٦

[١٤] شرح كافية ابن الحاجب : رضي الدين الأستراباذي ،٢٣٨/٢

أصبحت مبهمة لا يمكن الاكتفاء بها، ولا الوقوف عندها في الكلام ،وهذا ناتج عن تعلق الكلام بعضه ببعض تعلّقاً نحويّاً " وهذا التعلّق له ثلاثة أنواع :هي الإسناد ، الإضافة ،التبعيّة"( ) .

إلى هنا نخلص من أسباب الإبهام وأنواعه في الأبواب النحوية

معنى الشرط :

الشرط لغةً: " يدلّ على علمٍ وعلامة وهو إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه" ( ) واصطلاحاً : لفهم معنى الشرط بدايةً، لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار أنّنا أمام معنى نحوي من المعاني النحوية العامة ،والنظام النحوي للغة قائم على هذه المعاني؛ " فهذا النظام يتكوّن من المعاني النحوية العامّة، كالخبر والإنشاء والإثبات والنفي .....إلخ ومنها الشرط ومجموعة من المعاني النحوية الخاصّة والفاعلية والمفعولية والحاليّة ....إلخ " ( )

والشرط عند النحاة : " تعليق أمر على آخر إذ يُعيّن بوقوع الشيء لوقوع غيره " ( )و عُني النحاة بأدوات الشرط، وشغلوا بعملها النحويّ، وتأثيرها الإعرابي " فأدوات الشرط كَلِمٌ وضعت لتعليق جملة بجملة، تكون الأولى سبباً والثانية مُسبّباً، وهي إحدى عشرة أداة : إن ، ما ، من ، مهما ، إذما ، أيّ ، متى ، أيّان ، أين ، حيثما ، أنّى تدخل على فعلين مضارعين فتجزمهما معاً أو تدخل على ما يحلّ محلّ كل منهما، أو ما يحلّ محل أحدهما ، فتجزم محلَّهما " ( ) بهذا نرى اهتمام النحاة بأداة الشّرط، فبها يقوم هذا الأسلوب ،وبعملّها يتحقق معناه ،وتنعقد العلاقة بين أركانه.

ولقد أحسّ النحاة أنّ أركان أسلوب الشرط تتعلق بهذه الأداة تبعاً لركيزة منطقيّة عقليّة هي أنّ هذه الأداة تعد الرابطة الأساسية بين جملتي الشرط، ومن هنا خلا الجواب من أي رابطة مادام فعلاً يعقب فعل الشرط، فعلّلوا اختيار الفعل في الشرط والجواب، وأفردوا لهذا الأسلوب اهتماماً ببنيته، كونها بنية لغويّة شديدة الصلة بالواقع، وفيها من النحو بقدر ما فيها من المنطق.

يقول ابن يعيش " أمّا الشرط فلانّه علّة وسبب لوجود الثاني ..والأسباب لا تكون بالجوامد إنّما تكون بالأعراض والأفعال، وأمّا الجزاء فأصله أن يكون بالفعل أيضاً لأنّه شيء موقوف دخوله في الوجود على دخول شرطه ، والأفعال هي التي تحدث وتنقضي ويتوقّف وجود بعضها على بعض "( ) أمّا في حال لم تكن جملة الجواب فعلية، فهذا يعني أنّ انفصالها عن جملة الشرط ممكن، وقد تنبّه النحاة لذلك ،فأقرّوا (الفاء)رابطة للجواب مالم يكن هذا الجواب جملة فعليّة فجواب الشرط إن لم يكن صالحاً للشرط وجب له الفاء " فهو من دون الفاء يكون مظنّة الاستئناف " ( ) ولعدم الصلاحيّة هذه حدد النحاة كيفيتها ، إذ تكون في " الجملّ الإنشائية والاسمية والجامدة الفعل لذاتها والمسبوقة بأن ولن وقد والسين وسوف لأنّ هذه الحروف تؤذن بالثبات وهذا مخالف لمعنى الشرط " ( ) .

---

[٢٥] إحياء النحو : ابراهيم مصطفى ،القاهرة ، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر ، ٢٠١٨م ص٤٢

[٢٦] لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط٢، ١٤١٤هـ ، مادة / شرط /

[٢٧] اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٣٧

[٢٨] المقتضب : المبرد ، ٤٥/٢

[٢٩] شرح قطر الندى وبل الصدى : ابن هشام الأنصاري ، ص٨٥

[٣٠] شرح المفصل : ابن يعيش ، ٢/٩

[٣١] الكتاب : سيبويه ،٤٣٥/١

[٣٢] شرح المفصل : ابن يعيش ،٢/٩

وبما أنّ البحث يتبنّى الشرط تحت ما يسمّى (أسلوب نحويّ)، فلا بدّ من إيضاح هذا التعبير وخصوصيته، إذ ينفرد مصطلح الأسلوب بدلالة خاصة، وله اعتباراتٌ تناسب الشرط ببنيته ودلالته، فهذا التركيب الكليّ المتكامل البنية له نظمٌ خاصٌّ به .

والمعلوم أنّ الأسلوب " الضرب من النظم والطريقة فيه " ( ) إلّا أنّ ما جاء به ابن خلدون[٣] عن المفهوم الدلالي للأسلوب، يعدّ حجّة قاطعة لاستحقاق الشرط بأن يكون أسلوباً قائماً بذاته ، فقد جاء عنه " الأسلوب عبارةٌ عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب وهذا لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى ...وإنّما يرجع إلى صورة ذهنيّة للتراكيب المنتظمة الكليّة باعتبار انطباقها على تركيب خاصّ " ( )[٤] .

وهذه الصورة الذهنية تتحقق على كمالها في هذا الأسلوب ، فهذا التركيب يحمل فكرة تامّة، وطاقة إخباريّة تحتكم لمنطقها ونحوها معاً، ولهذا فإنّ إحكام معانيه أبرز مؤشرات أسلوبيّته .

نوع الإبهام في أسلوب الشرط :

لتحديد نوع الإبهام في أسلوب الشرط ،لا بدّ أن نعي أوّلاً أنّ كلّ ما هو عامّ مبهم، وإن اختلفت درجات الإبهام في ذلك ،والشرط كما ذكر سابقاً أنشئ للدلالة على معنى عام، غايته تحقيق علاقة سببية والإخبار عنها بواسطة ارتباط جملتين بعضهما ببعض ، تصلح الأولى أن تكون سبباً للثانية ،فقصد المتكلم من استخدام هذا الأسلوب ،التعبير عمّا يريده شرطاً، وبهذا فإنّ البنية النحوية ،قد تكون غير مدركة هنا كبنية ؛لأنّ تحقق المعنى ذهنياً هو أول المدارك وأعلاها ولكن هذا لا يعني أنّه بغنى عن هذه البنية ،فهذا محال ،ففي علم النحو، لابدّ من الانطلاق من البنية اللغوية المجسّدة للمعنى ببساطة لأنّنا متى ما صادفنا عبارة شرطية ما، فإنّنا نفهم معناها من دون أن نفصل بين منطقها ونحوها لشدّة تناسقهما في الذهن .

فالبحث في المعنى نحويّاً يكون بعد لحظة الإدراك التي تتعيّن فيها أساسيات هذا الأسلوب سببه ونتيجته ليكون الأسلوب بحدّ ذاته أحد أكثر لأساليب التي أبانت أن النحو لا ينسج لفظاً قبل تشكل معناه.

والإبهام مرافق لهذا المعنى حتماً ،وقد جهد النحاة في صونه ،انطلاقاً من عنايتهم بأداة الشرط الأصلية المبهمة (إن) ،وبكلّ أداة ألحقت بها، فلا أداة تدخل هذا المعنى مالم تكن مبهمة وهذا ما جعل " الشرط مبنياً على الإبهام" ( )[٥].

وهذا الإبهام من النوع الأوّل أي الإبهام المتمكّن فيما هو فيه ،لا يزول عنه في حال ،أي أنّ " الإبهام في هذا الأسلوب باقٍ فيه وضعاً واستعمالاً والمراحل التكوينية لهذا الأسلوب ، توضح إبهامه، فمن الناحية التي تخصّ هذا المعنى خارج نظام القاعدة النحويّة يمكننا القول : إنّ الشرط بمعناه العامّ يحصّل سعة استعمالٍ وسهولة إدراك من قبل مستعمليه، وقصد هذا المعنى من جانب المتكلّم، أن يفهم السامع منطق ما لقضية ما، يصلح فيها اقتران سببٍ بنتيجة أو شرطٍ بجزاء، " فالمعنى العامّ بما يرتبط به من قصدٍ لغويّ ،هو الأساس في تحديد نوع الجملة، وهذا أمر غير نحويّ ويعتمد على معطيات ليست من واقع نظام اللغة القواعديّ " ( )[٦] .

---

[٣] دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، ص٤٦٨

[٤] علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : صلاح فضل ، القاهرة ، دار الشروق ، ط١، ١٩٩٨م ، ص٩٥

[٥] الأشباه والنظائر في النحو : جلال الدين السيوطي ، تح : سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، شارع سوريا ، ط١، ١٩٨٥م ، ٢١٥/١

[٦] الاسم بين الرتبة النحوية والعمل بحث معد لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ،إعداد : فاطمة أحمد ، إشراف أ. د. حسين وقاف ، جامعة تشرين ، ٢٠١٨م ، ص١٨

من هنا تظهر" أهميّة الأسلوب بملاحظة الفكر والحياة معاً ،لتأسيس العلوم الإنسانية على قواعد تجريبية وعقليّة معاً " ( ) بهذا فإنّ الشرط يعمّ كلّ ما يمكّن أن يعمّ من الأشياء التي يصحّ فيها التعاقد والاشتراط ،ومن هنا كان الإبهام فيه على الإطلاق .

لنصل إلى الناحية الأخرى من إبهام هذا الأسلوب ،أي بعد تحقّقه ونظمه نحويّاً، فهناك جملة من التعليلات في البنية النحويّة تبيّن إبهامه وضعاً واستعمالاً، أوّلها" من دقيق قولهم الحرف لا يدخل على غير مفيد ،فيعتدّ به ، إنّما فائدته ربط المفيد ، لذا فهناك ترابط منطقي بين أجزاء جملة الشرط ومن ثمّ يربط النحو بينهما بفضل الحرف المؤلّف به الكلام ربطاً نحوياً وكلّ المعاني العامة حقها أن تؤدّى بالحروف " ( ) . ٨

والشرط معنى يؤدّى بحرفه الموضوع له وهو (إن) ،وهو أصل هذا الباب ،وقد علّل النحويون سبب أصالته وترأسّه هذا المعنى " إنّما قلنا (إن) أصل الجزاء لأنّك تجازي بها في كلّ ضرب .....وليس كذلك سائرها " ( ) . ٩ ٣

ولإبهامها عظيم الأثر في تحقيق العلاقة الشرطية، " إذ يسهم الإبهام في قيام الأداة بمعنى الشرط ،ويدلّ على هذا أنّ الأدوات غير الحرفيّة التي تؤدّي هذا المعنى مبهمة، وذلك مثل (من وما) كما أنّ الظرفين (متى وأين) تستعملان في الشرط لإبهامهما " ( ). ٤ ٠

وتحرّر (إن) من المعنى ، يتيح لها أن تؤدي بقوّة وإخلاص عملها النحويّ، إذ ليس لها سواه " فليس لها وظيفة نحويّة غير ربط طرفي الشرط وتعليق أحدهما على الآخر " ( ) . ٤ ١

وسنرى مرافقة الإبهام في كلّ ما يبنى عليه هذا الأسلوب، فبعد انتقاء أداته وإبهامها، يأتي منها عملها وعمل كلّ كلِم المجازاة كامن في التعليق، والربط بين طرفي الشرط " فكَلِم المجازاة ما كان منها حرفاً أو اسماً تقتضي شرطاً وجزاءً ،لأنّها موضوعة لتعليق أمر بأمر فتعمل فيهما لأنّ مبنى العمل على الاقتضاء " ( ) . ٢

وإذا كان الأمر كذلك، فنحن أمام تراكيب إسناديّة فعليّة ،يفتقر كل منها إلى الآخر، وهذه ميزة هذا الأسلوب؛ لأنّ كلّاً منهما مشروطٌ له فعليّته، والمعهود عن علاقة الإسناد أنّها تحقق استقلالاً في الكلام، ولكن في سياق الشرط لا يكون لها ذلك، ففعل الشرط لم يعدّ مستقلّاً بدلالته؛ لاقتضائه الجزاء، وكذلك الجزاء إذ لا فائدة منه إن لم يتعلّق بشرطه، فالفعل في الشرط خالص للحدث دون الزمن، والحدث فيه غير مكتمل الدلالة؛ بسبب التعليق الذي هو العمل النحوي لأداة الشرط .

"فالتعليق وما يتّبعه من نقص في الدلالة يجعل الفعل غير مستحق لحركة الإعراب كما استحقّها في حالة النصب والرفع، ولهذا تقطع الحركة من آخره وهذا معنى الجزم " ( ). فالمعنى يكتمل بترابط جملتي[٣] الشرط وتعلّق بعضهما ببعض " فالشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في واحدة دون الأخرى " ( ) . ٤ ٤

---

[٣٧] علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : صلاح فضل ،ص ١٣

[٣٨] الأشباه والنظائر : السيوطي ،١/ ١٥

[٣٩] المقتضب : المبرد ،٥٥/٢

[٤٠] الشكل والدلالة : عبد السلام السيد حامد ، ص١٨٨

[٤١] من نحو المباني إلى نحو المعاني : محمد طاهر الحمصي ، القاهرة ، دار سعد الدين ،٢٠٠٣م ص٣٥٨

[٤٢] شرح التسهيل : محمد بن عبد الله ابن مالك ، ٦٦/٤

[٤٣] المقتضب : المبرد ،٥٠/٢

[٤٤] الأشباه والنظائر : جلال الدين السيوطي ، ٢٩٥/١

لنصل إلى ثالث ما علّله النحاة إبقاءً للإبهام وتعليقاً لوجوده أيضاً ، وهذا يخصّ هنا ما بين الشرط والجواب ،قال السكاكي " ليس ثمّة دلالة لغويّة على الاستقبال في جملة الشرط لأنّه ليس بين الشرط والجزاء ثبوت بل بينهما تعلّق " ( ) أيّ إنّ الاستقبال هو الزمن المحدد للشرط لأنّ المعنى غير حادث في الشرط ،أي غير متحقق الوجود " والمستقبل مالم يكن له وجود بعد ، بل يكون زمان الإخبار عنه قبل زمان وجوده " ( ) وهذا ضربٌ من الإبهام لأنّه يدخل في حيّز احتمال الوجود . ٦

من كلّ ما سبق نخلص إلى أنّ الإبهام في الشرط ،إبهام أصليّ متمكّن لايزول عن هذا الأسلوب في الاستعمال، وهذا يؤيّده المعنى اللغويّ العامّ للشرط، وكيفيّة استعماله، وكذلك البناء النحوي لهذه البنية الشرطية بكلّيتها ،ابتداءً من حرفها المبهم اللاحق بإبهامه كلّ اسم أو حرف يدخل هذا المعنى، وعمل هذا الحرف في جملتي الشرط، انتهاءً بزمن الاستقبال المعيّن مجالاً زمنياً لمعنى تحقق الشرط، فالإبهام أصليّ في التركيب الشرطي ، لأنّه متعلّق بالمعنى المُنشأ له هذا الأسلوب .

خصائص (إن) الشرطية ومميّزاتها :

تعدّ (إن) أصل باب الشرط ،فهي الأداة الأم المنتخبة لتأدية هذا المعنى، وتتميّز بخصائص عدّة ،منها ما تشترك به مع أدوات الشرط الأخرى، ومنها مميّزات لها وحدها دون غيرها من أدوات الشرط ،وهذه المميّزات مكّنت الشرط فيها ،فتصدّرت من دون سواها هذا المعنى فكانت حرفه الأصليّ .

نجمل هذه الخصائص والمميّزات بقولنا " (إن) حرف يأتي لمعنى الشرط، له خَلُصَت وبه كان عملها دون أي قيد ،فجاءت شرطاً في الأشياء كلّها ،وعدّت أمّ حروف الجزاء، والأداة في فكر النحاة ،كان لها عظيم الأثر والأهميّة؛ لأنّها هي من تؤلّف المعاني النّحوية التي لطالما رآها النحاة أعمالاً واقعيّة، وبنظرةٍ فلسفيةٍ ، ألقوا على عاتق هذه الأداة مهمّة صنع المعنى وتقديمه ومن هنا كانت (إن) مبهمة في الأشياء كلّها، ليتسعوا في استعمالها في أيّ شرط، فمتى ما وجدت علّقت وربطت بين جملتي الشرط، وأدخلتهما في معنى الشرط، جاعلةً منهما سبباً ومسبّباً أو شرطاً وجزاءً ،فقد وضعت لهذه الوظيفة ،مجرّدةً من قيد يعيق تعليقها أو يحدده ،فلا دلالة لها سوى تعليقها بين الشرط والجزاء ،ولإبهامها عظيم الفاعليّة في تحقق كل هذه المميّزات لها ،وقد ذكر آنفاً أنّ الشرط مصيره التعليق، فلا تحقق ثابت معلوم في الشرط لأنّه مما يمكن أن يكون أو لا يكون في المستقبل، وهذا مخرج إن وموضوع تعليقها أو إن صحّ التعبير الموضع الأحقّ لها "( ). ٤ ٧

يمكن أن نفنّد ماسبق :

" (إن) حرف مبهم يأتي لمعنى الشرط وحده أمّا غيرها من الأدوات الشرطية فيكون للشرط وغيره .

كلّ باب فأصله شيء واحد ،ثمّ تدخل عليه دواخل لاجتماعها في المعنى ...وإنّما قلنا (إن) أصل الجزاء لأنّك تجازي بها في كلّ ضرب وليس هكذا سائرها .

---

[٥] مفتاح العلوم : يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي ، تح : نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧م ،ص١٨٥

[٦] إحياء النحو : ابراهيم مصطفى ، القاهرة مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر،٢٠١٢م ،ص٠٢

[٧] المقتضب : المبرد ، ٥٥/٢

فقد تكون للعاقل :

قال الشاعر:

وهم من الموت أهل منزلةٍ إن لم يراعوا بطارقٍ صبحوا "( )

وتستخدم للزمان :

وإن طال الرّقاد من البرايا فإنّ الراقدين لهم مهبّ " ( )

وتستخدم للمكان :

فإن تبغني في حلقة القوم تلقني. وإن تقتنصني في الحوانيتِ تصطد" ( )

ليس لحرف الشرط (إن) وظيفة نحويّة غير ربط طرفي الشرط وتعليق أحدهما على الآخر، ومعنى الشرط المستقبلي معها أوضح وأظهر، وبهذين الأمرين امتازت عن أدوات الشرط الأخرى .

تعلّق (إن) الجواب على الشرط تعليقاً مجرّداً ،يراد منه الدلالة على وقوع الجواب وتحققه من غير دلالة على زمان أو مكان أو عاقل أو غير عاقل مع دلالتها على الشك والاحتمال .

(إن) الشرطية تجزم ما بعدها، ولها من التصرّف ما ليس لغيرها، ألا تراها تستعمل ظاهرة نحو قوله تعالى : {وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله } "( ) ومقدّرة وذلك بعد الأمر والنهي والاستفهام والعرض والتمني ، ويحذف بعدها الشرط ويقوم غيره مقامه نحو قول امرئ القيس :"(لا والله ولكن استعذ به ، فرويداً ينفرج لك دجاها)" ( )

و تليها الأسماء على الإضمار ،إذ يجوز أن يلي (إن) اسم على إضمار فعل يفسّره ما بعده بشرط مضي فعل الشرط نحو قوله تعالى : {وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره }"( )

اختصت (إن) بحذف الشرط وحده بعدها ،ولا يجوز حذفه مع أدوات الشرط الأخرى وذلك لأنها أصل حروف الشرط...نحو : فطلّقها فلست لها بكفءٍ وإلّا يعل مفرقك الحسام "( )

يجوز حذف الشرط والجواب والاكتفاء بها وحدها ، وهذا لا يجوز مع غير (إن) نحو :

" قالت وإن كان فقيراً معدماً قالت وإن " ( )

---

[٤٨] ديوان اللزوميات : المعري ، تح : أمين الخانجي ، مكتبة الخانجي ، بيروت ، ١٩٩٤م

[٤٩] المصدر نفسه ، ٧٩/١

[٥٠] ديوان طرفة بن العبد : شرحه وقدّم له : مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٢م

[٥١] البقرة /٢٨٤

[٥٢] جمهرة خطب العرب : أحمد زكي صفوت ، ٣٦/١

[٥٣] التوبة /٦

مخرج (إن) الظنّ والتوقّع فيما يخبر به المخبر، ولهذا فهي عاملة تجزم فعلي الشرط ؛ لأنّ الجزم يكون في المعاني التي ليست بواجبة الوجود، لما تقدّم من أنّ موضوع المجازاة بإن التي هي أمّ الباب أصله أن يكون الفعل المجازى به ممّا يترجح بين أن يوجد وألّا يوجد

قد تستعمل (إن) مع الشرط المحقق ،ومن أمثلة ذلك قوله تعالى { فذكّر إن نفعت الذكرى } "( )واستعمال (إن) مع الشرط ألواجب التحقق، يأتي لغرضٍ بلاغيّ، يفهم من سياق الشرط فالشرط هنا واجب التحقق، وإنّما جيء بإن التي هي للشك دون (إذا) التي هي الوجوب تهكّماً بهم كما يقول قائل : إن غلبتك لم أبقِ عليك وهو متيقّن أنّه غالبه " ( ) ٧ ٥

إذا كان الفعل ماضياً بعد حرف الجزاء، جاز أن يتقدّم الجواب لأنّ (إن) لا تعمل في لفظه شيئاً وإنّما هو في موضع الجزاء وسائر الأدوات يستحيل فيها وجوه التقديم والتأخير

" قد تدخل (إن) الشرطية على (لم) الجازمة فلا ينقلب زمن المضارع للماضي ، إذ صار التأثير في زمنه مقصوراً على أداة الشرط وحدها متخلّصة للمستقبل المحض كقول الشاعر:

(وهم من الموت أهلُ منزلةٍ إن لم يراعوا بطارقٍ صبحوا) ( ) " ( ) ٨ ٩

الشرط بإن وفاعليّة الإبهام فيه تطبيقاً :

لإمكانية تصوّر أثر الإبهام في الشرط لا بدّ من أن ندرك أن " الفاعلية هي القدرة على التأثير" ( )

والمعنى يعرّف على أنّه " القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه وقد يكون معنى الكلام ما تعلق به القصد " ( ) ١ ٦

وسبق الذكر إلى أنّ الإبهام في النحو يكون فيما لم يحدد معناه التحديد الذي يبلغ فيه مرتبة الإفهام ويحسن معه تمام الكلام، ولكن في أسلوب الشرط بيّنا أنّ نوع الإبهام فيه مختلف عمّا ذكر؛ لأنّ الإبهام فيه مرتبط بمعنى الشرط ذاته، فهو معنى غير مثبت التحقق أساساً ،ومصير لشرط هو المجهول ؛لأنّه مرجّح الوقوع في زمن لم يأتالشرط، وإنّما يمكن الإخبار عنه بالشرط وهو زمن المستقبل على هذا فالبنية النحوية التي يجب أن تؤدي المعنى هي على الشكل التالي :

أداة الشرط ، فعل الشرط (بصيغة المضارع) جواب الشرط (بصيغة المضارع)

وكلّ الأدوات الشرطية كأداته الأصلية مبهمة إلا أنّ (إن) الشرطية مبهمة دون أي دلالة ثانوية إلى جانب عملها النحوي أي التعليق بين الشرط والجواب .

---

[٥] شرح الكافية الشافية : ١٦١٠/٣

[٦] الأعلى /٩

[٧] الكشاف :عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري ، تح : محمد عامر ، دار المصحف ،القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٧م ،٢٢٣/١

[٨] ديوان اللزوميات : المعري ، تح : أمين الخانجي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٤م

[٩] ينظر : المقتصد في شرح الإيضاح : عبد القاهر الجرجاني ، تح : كاظم المرجان ، بغداد ، دار الرشيد ،ط١، ١٩٨٢م ، ٢ /١٥٢و الأصول في النحو : ابن السراج ، ١٥٩/٢ و ارتشاف الضرب : أبو حيان الأندلسي ، تح : مصطفى النحاس ، القاهرة ، مطبعة النسر الذهبي ، ط١، ١٩٨٤م ،١٨٦٩/٤ و شرح التصريح : خالد الأزهري ،٤٣/١ والمقتضب : المبرد ،٥٠/٢

[١٠] المنجد في اللغة العربية المعاصرة : لويس معلوف ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية، ط١، ١٩٠٨م،١/ ١١٥١

[١١] الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري ، تح : محمد سليم ، القاهرة ، دار العلم والثقافة ، د.ت ، ص٣٤

وفيما يأتي شواهد تبيّن فاعلية الإبهام بالمعنى في أسلوب الشرط المصدّر بإن :

قوله تعالى : { لا تسألوا عن أشياء إن تبدَ لكم تسؤكم }"( ) [٢]

جاء أسلوب الشرط بحرفه الأساسي المبهم (إن) ،وجملة فعل الشرط (تبدَ) جملة فعلية فعلها بصيغة المضارع المستقبل، وجملة الجواب (تسؤكم) جاءت بصيغة المضارع المستقبل أيضاً .

هذه هي الصورة الأصلية لأسلوب الشرط ، ونحوياً يجب أن تكون العلاقة بين الشرط والجواب علاقة سببية وهي هنا علاقة سببية فرضها المقام أو السياق ؛لأنّ السبب والمسبب يخضع عادة لأقيسة عقلية منطقية في زمان ما ومكان ما وتبعاً لإمكانية الاستدلال فإنّ سوء حالهم ناتج عن احتمال اتّضاح الأشياء التي نُهي عن السؤال عنها .

مصير هذا الشرط هو الاحتمال بين الوجود وعدمه، والإبهام في الأداة أسهم في عملها بتعليق جملة الجواب بجملة الشرط ،تعلّقاً مجرّد من أي دلالة على زمان أو مكان أو حال، وهذا الإبهام من متطلبات إطلاق هذه العلاقة بين جملتي الشرط ،فهي بأي زمان وبأي حال وبأي مكان جزاؤها ثابت إن قدر لشرطه التحقق.

وهذه فاعلية للإبهام في إطلاق المعنى بالزمن المطلق ،الزمن الذي يرسمه المعنى تبعاً لاحتماليّة تحققه .

ونلاحظ الجزم في الفعليين وهو رابطة قوية تربط جملة الجزاء بالشرط بتأثير من العامل النحوي المستولي على التركيبة النحوية ،وهو أداة الشرط (إن) ؛لأنّ الجزم يعني تعلّق المجزوم بما قبله ،وهذا التعلق هو تعلّق دلاليّ أوّلاً ؛لأن جملة الشرط لا معنى لها دون الجزاء والجزاء هو المراد وبه معلّقاً بالشرط تتحقق فائدة الكلام .

(فإن لم تصيبوا لهنّ الأكفّاء ....فإنّ خير مناكحنّ القبور) ( ) [٣]

جاء أسلوب الشرط مصدّراً بإن الداخلة على (لم) الجازمة، وجملة فعل الشرط جملة فعلية فعلها مضارع للمستقبل المحض،ورغم دخول (لم) عليه وجملة الجواب اسمية مقترنة بالفاء .

وأداة الشرط كما هو معلوم ترتبط بين فعلي الشرط ،وتخلص زمنهما للمستقبل، و(لم) تقلب زمن المضارع للماضي ولكنها هنا لا تأثير لها على فعل الشرط؛ لأنّ (إن) استأثرت بهذا التأثير ، إذ بها انعقد الكلام وبها أُلِف ورُكِّب لذا "لا ينقلب زمن المضارع هنا للماضي إذ صار التأثير في زمنه مقصوراً على أداة الشرط وحدها متخلّصة للمستقبل المحض"( ) [٤] [٦] .

إنّ للإبهام فاعليّة في هذا أيضاً ؛لأنّ الشرط وما يفهم منه من معنى التعليق بين الوجود والعدم ،لا يمكن أن يؤدّى بصيغة (فَعَل) المقترنة بحدث حصل في زمنٍ ماضي إلا إذا أريد به الاستمرارية ، وجرّد من مضيّه واحتكم إلى المعنى في تحديده .

---

[٢]) المائدة /١٠١

[٣]) جمهرة خطب العرب : أحمد زكي صفوت ، ١٢٩/١

وجملة الجواب اسميّة ،لذا اقترنت بالفاء ليتحقق التعلق بالشرط، و إذا لاحظنا أنّ هذه الجملة الاسمية مكونة من (حرف مشبّه بالفعل واسمه وخبره) وإنّ تفيد توكيد جملتها والجملة الاسمية تحمل معنى الثبوت المحرر من الزمن ، وهو لازم للجزاء لأنّ استحالة تحقق هذا الجزاء مسلم بها عقلا ،ولكن تبعا لارتباطها بصعوبة تحقق الشرط حُصّل لها الممكن والإبهام ساهم في ذلك ؛ لأنّه يحكم هذا الشرط بصورته الذهنية قبل أن يحكمه بصورته النحوية فالشرط على احتمال الوجود البعيد جدا ،لذا كان الجزاء على احتمال وجود المستحيل ،وعلّق أشدّ ما يكون عليه الممكن صعوبةً في التحقق بالمستحيل تعليقاً مطلقاً ومنطقياً ،في عدول عن صورة الشرط الأصلية إلى صورة لها خصوصيتها نحويّاً ودلالياً .

قال تعالى : {الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف } "( )[٥]

الصورة التي عليها أسلوب الشرط في هذه الآية ليست الصورة الأصلية المقررة له، إذ ربطت أداة الشرط الأصلية (إن) بين جملة الشرط (مكنّاهم) ،وهي جملة فعلية فعلها ماضي وجملة الجواب (أقاموا) ، وهي جملة فعلية فعلها ماضي أيضاً .

إنّ الإبهام في المعنى موجود في الزمن المراد تحقق التمكين فيه ،ولكنّه آتٍ لا محالة والآية الكريمة تصف حال أولئك الصالحين ،إن مكّن لهم في الأرض ودخول (إن) على محقق الوقوع، ليس ممّا أقرّ لها ،لكنّ هذا من باب تنزيل الشرط للتحقق؛ لأنّه سيكون ولو بعد حين " فكلّما كان معنى الشرط أقرب إلى التحقيق منه إلى الشك والإبهام، كان استخدام الماضي أولى من المضارع " ( )[٦] .

الزمن هنا مستقبل تبعاً لمعنى الشرط " فالزمان في العربية إذا ما كان في تركيب جملي فإنّ عناصر الترابط الجملي ، نقصد ارتباط الكلمة بالكلمة في الجملة، وبعض عناصر توجيه الزمن بأدوات معينة تدخل على الفعل فتصرفه إما للماضي أو للمستقبل أو عناصر توجيه الزمن في الجملة كالروابط الشرطية وغيرها " ( )[٧] .

والزمان هنا مستقبل في المعنى ،والمستقبل لمّا يأت بعد والإبهام متحكم فيه نحويّاً فقط، أي بكون الكلام بسباق شرط ،ولو حذفنا أداة الشرط (إن) لتبين لنا ذلك إذ يترتب الكلام بعضه على بعض ترتيباً شرطياً تلازمياً .

نتائج البحث :

١. الإبهام مصطلحٌ دالٌّ على علّة ما أصابت المعنى وحجبته عن تعيينه وبيانه .

٢. تجمل أسباب الإبهام بالعمومية والافتقار والتعدد في المعنى وهذا نظراً للصلة الوثيقة بين الإبهام والمعنى .

٣. تتحدد أنواع الإبهام تبعاً لإمكانية بقائه في الاستعمال بثلاثة أنواع هي:

أ. الإبهام المتمكن : وهذا الإبهام يعكس قوة الإبهام في اللغة إذ تحافظ فيه على إبهامها وضعاً واستعمالاً، وهذا لا يخصّ الكلمة المفردة وإنما يمتد ليشمل أساليب نحوية معينة وهي الشرط ،الاستفهام ، التعجب .

---

[٥] الحج /٤١

[٦] مفتاح العلوم : السكاكي ، ص٢٤١

[٧] المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي: خليل أحمد عمايرة ، عمان ، دار وائل ، ط١، ٢٠٠٤م ص ٤٠

ب. الإبهام غير المتمكن وهو الذي يشمل المبهمات الأساسية التي ركّز عليها النحاة وحددوها، وهي أسماء الإشارة والموصولات واسم الزمان المبهم واسم المكان المبهم والمصدر .

ج. الإبهام العارض وهو الذي يكشف عنه النظم تبعاً لدخول ما ليس بمبهم بالتعلق بغيره لتأدية معنى نحوي ما وهذا التعلق يكون عبر علاقة الإسناد أو الإضافة أو التبعيّة .

٤. يعدّ الشرط معنى نحويّاً عامّاً تغلب فيه العلاقة السببية بين الشرط والجزاء ويتم تعليق كل منهما بالآخر بواسطة أداة الشرط كونها هي التي يوكل لها مهمة التعليق بين الشرط وجوابه .

٥. لأسلوب الشرط بنية خاصة متميزة تحتضن بنيات إسنادية تحولها إلى بنيات ناقصة الدلالة وتخلصها إلى المستقبل المحض الذي يناسب معنى الشرط وهذا التحويل يكون بوساطة أداة الشرط ومن ثمّ فإنّ أسلوب الشرط يخبّر به بطريقة تعتمد استناد كل مكوناته بعضها إلى بعض فتنتظم المعاني النحوية ككلية لغوية منطقية ليكون نظم هذه الكلية أسلوباً مميزاً لتقديم المعنى بحرفية نحوية عالية .

٦. الشرط من الأساليب التي وضعت للإبهام وضعاً واستعمالاً وقد كان للبنية النحوية عظيم الأثر في بيان ذلك ابتداءً من انتقاء (إن) الحرف المبهم كأصل لهذا المعنى ومرورا بالتأكيد على أحقية وقوعها على معنى الظن والشك وإمكانية التحقق وانتهاء بعملها الجزم وتحويل زمن فعلي الشرط إلى الاستقبال المحض المناسب لمعنى الشرط .

٧. يسهم الإبهام إسهاماً فعّالاً في نهوض الأدوات الشرطية بمعنى الشرط لأنّ الشرط يحتاج إلى الإطلاق والتعميم بحكم أنّ بين سببه وجزائه تعلقاً .

٨. تعد (إن)أبرز أدوات الشرط لإبهامها وفاعلية الإبهام فيها وفي عملها وتأثيرها الإعرابي وهذا يتضح من خلال قدرتها على تأدية معنى الشرط في الشروط كلّها مجردة من أي دلالة أخرى غير الدلالة الوظيفية بالتعليق بين جملتي الشرط ولهذا يكون الشرط مع (إن) ظاهرة ومضمرة ومقدّرة فهي أصله وبها يكون ، ومن هنا حصّلت إن قوة الدلالة على الشرط وقد يكتفى بها للدلالة عليه إذا دلّ ما قبلها على سياق شرطها وجوابها المحذوفين .

٩. الإبهام الناشئ مع القصد المرافق للمعنى وخاصة المعنى العامّ لا فكاك منه ومعه يعد هذا الإبهام إحدى دلالات اللغة التي يبرزها النحو بمعانيه وضرب نظمه وأحكامه .

الخاتمة :

وبهذا نخلص إلى أن الإبهام في أسلوب الشرط جزء لا يتجزأ عن بنيته وطريقة نظمها وارتباطها ولا عن التعبير عنها كمعنى عام وقد أسهمت البنية النحوية في إقامة هذا المعنى خاصة مع انتقاء (إن) كحرف أصلي مبهم يؤدي هذا المعنى في أي شرط .

وتبقى فاعلية الإبهام أمراً يفرضه الواقع اللغوي والمعاني النحوية العامة فإذا ما تحكمت بأسلوب كأسلوب الشرط بان جوهره وعلم أن وضعه ككلية لغوية عقلية نحوية هو ميزة له عن باقي الأساليب النحوية تميزه وتعينه كنمط عالٍ من التعبير في النحو واللغة على السواء .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

1. *الإبهام والمبهمات في النحو العربي* : ابراهيم بركات ، المنصورة ، دار الوفاء ، ١٩٨٧م .
2. *إحياء النحو* : ابراهيم المصطفى ، القاهرة ، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر ،٢٠١٢م
3. *ارتشاف الضرب* : أبو حيان الأندلسي ،تح : مصطفى النحاس ، القاهرة ، مطبعة النسر الذهبي ، ط ١، ١٩٨٤م
4. *الأشباه والنظائر في النحو* : جلال الدين السيوطي ، تح : سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، شارع سوريا ، ط١، ١٩٨٥م
5. *الأصول في النحو* : ابن السراج ، تح : عبد الحسن الفتيل ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٣، ١٩٩٦م
6. *الجملة العربية والمعنى* : فاضل صالح السامرائي ، بيروت ، دار ابن حزم ، ط١، ٢٠٠٠م
7. *جمهرة خطب العرب* : أحمد زكي صفوت ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،ط١، ١٩٤٣م
8. *حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك* : ياسين بن زين الدين العلمين الحمصي ، المطبعة المولوية ، ١٣٣٧ه
9. *دلائل الإعجاز* : عبد القاهر الجرجاني ، تح : محمود شاكر ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، د. ت
10. *ديوان أبي تمام* : شرح الخطيب التبريزي ، تح : محمد عبده عزام ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط٢، ١٩٩٤م
11. *ديوان طرفة بن العبد* : شرحه وقدم له : مهدي محمد ناصر ، دار الكتب ،بيروت ،ط٣، ٢٠٠٢م
12. *ديوان اللزوميات* : المعري ، تح: أمين الخانجي ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٤م
13. *شرح التسهيل* : محمد بن عبد الله ابن مالك ، تح : عبد الرحمان السيد ومحمد بدوي المختون ، القاهرة ، دار هجر للنشر ، ط١، ١٩٩٠م
14. *شرح التصريح على التوضيح* : خالد الأزهري ،بيروت ، دار الفكر ، د. ت

15. *شرح قطر الندى وبل الصدى* : ابن هشام الأنصاري ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٩٨م

16. *شرح كافية ابن الحاجب* : رضي الدين الأستراباذي ، تح : إميل يعقوب ، بيروت ،دار الكتب العلمية ، ط١، ١٩٨٩م

17. *شرح الكافية الشافية*: ابن مالك ، تح : عبد المنعم أحمد هريدي ، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ،ط١، ١٩٨٢م

18. *الشكل والدلالة* : عبد السلام السيد حامد ، القاهرة ، دار غريب ، د. ت

19. *شرح المفصل* : موفق الدين بن يعيش ، بيروت ، عالم الكتب ، د.ت

20. *العربية والغموض* : حلمي خليل ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٩٨٨م

21. *علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته* : صلاح فضل ، القاهرة ، دار الشروق ، ط١، ١٩٩٨م

22. *الفروق اللغوية* : أبو هلال العسكري ، تح : محمد سليم ، القاهرة ، دار العلم والثقافة ، د. ت

23. *الكتاب* : سيبويه ، تح : عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الجيل ، د. ت

24. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري ، تح : محمد عامر ، القاهرة ، دار المصحف ، ط ٢، ١٩٧٧م

25. *لسان العرب* : جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط٢، ١٤١٤هـ.

26. *اللغة العربية معناها* ومبناها : تمام حسان ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط٥، ٢٠٠٦م

27. *اللمع في العربية* : عثمان بن جني ، تح : حامد المؤمن ،بيروت ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ،ط٢ ،١٩٥٨م

28. *المخصص* : ابن سيده ، تح : لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د .ت

29. *المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي* : خليل أحمد عمايرة ، عمان ، دار وائل ، ط١، ٢٠٠٤م

30. *المعجم الوسيط* : ابراهيم أنيس وآخرون ، بيروت ، دار الأمواج ، ط٢، ١٩٩٠م

31. *مفتاح العلوم* : يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، تح : نعيم زرزور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط٢، ١٩٧٨م

32. *المقتصد في شرح الإيضاح* : عبد القاهر الجرجاني ، تح : كاظم المرجان ، بغداد ، دار الرشيد ، ط١، ١٩٨٢م

33. *المقتضب* : المبرد ، تح : عبد الخالق عظيمة ، بيروت ، عالم الكتب ، د. ت

34. المنجد في اللغة العربية المعاصرة : لويس معلوف ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ط١، ١٩٠٨م

35. *من نحو المباني إلى نحو المعاني* : محمد طاهر الحمصي ، القاهرة ، دار سعد الدين ، ٢٠٠٣م

36. *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*: جلال الدين السيوطي ، تح : أحمد شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب ، ط١ ،١٩٩٨م

الرسائل الجامعية :

1. الإبهام في الدرس النحوي بحث معد لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها ،عداد : محمد أحمد الأشولي ، إشراف : أ. د. مصطفى الفكي ، جامعة أم درمان ،٢٠٠٧م

2. الاسم بين الرتبة النحوية والعمل بحث معد لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ،إعداد : فاطمة أحمد ، إشراف : أ. د. حسين وقاف ، جامعة تشرين ، ٢٠١٨م